

التبيان في تفسير القرآن

(242) وقال الجبائي: معناه واخذه به على وجه التوبيخ والتقريع. والحساب إحصاء ما على العبد وله، يقال: حاسبته حساباً ومحاسبة، وحسبه يحسبه حساباً وحساباً. وقوله " وماؤاهم جهنم وبئس المهاد " فالمهاد الفراش الذي يوطأ لصاحبه، وانما قيل لجهنم: مهاد أي هي موضع المهاد لهم. قوله تعالى: (أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى إنما يتذكر أولوا الالباب) (21) آية بلاخلاف. أخبرنا تعالى ان من يؤمن بالله ويعلم ان ما أنزل إليك يا محمد من ربك الحق، لا يكون مثل من يشهد ذلك وعمي عنه، فاخرج الكلام مخرج الاستفهام والمراد به الانكار، أي لا يكون هذان مستويين، وبين ان الفرق بينهما بمنزلة الفرق بين الأعمى والبصير. وقوله " انما يتذكر أولوا الالباب " معناه إنما يتذكر في ذلك ويفكر فيه ويستدل به ذوو العقول والمعرفة. والالباب هي العقول، واحدها لب ولب الشئ أجل ما فيه واخلصه واجوده، فلب الانسان عقله لانه أجل ما فيه، ولب النخلة قلبها، ولب الطلعة ثمرتها التي فيها، وانما شبه العلم بالبصر، والجهل بالعمى، لان العلم يهتدى به إلى طريق الرشده من الغي كما يهتدى بالبصر إلى طريق النجاة من طريق الهلاك، وعكس ذلك حال الجهل والغي. قال الرماني: وجه الاحتجاج بالآية انه إذا كانت حال الجاهل كحال الأعمى، وحال العالم كحال البصير وأمكن هذا الأعمى ان يستفيد بصراً، فما الذي يبعده عن طلب العلم الذي يخرج عن حال الأعمى بالجهل؟ !. وهذا إلزام طلب العلم، لانه خروج عن حال الأعمى بالجهل إلى البصير بالعلم.